

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ
نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف: 56 - 57]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لما كانت الآيتان السابقتان قد ذكرتا موقفَ الملك من يوسف عليه السلام، بعد أن كلمه وأعجب بكلامه وبتمطٍ تفكيره، وقبل ذلك بأمانته، ثم أعلن له أنه قد صار لديه من هذا اليوم مكيئلاً أميناً، ثم ما تلا ذلك من طلب يوسف عليه السلام أن يتولّى مسؤولية إدارة خزائن الأرض - الدولة - من الميرة والأموال؛ لأنه ﴿حَفِيطٌ عَلِيمٌ﴾. بعد ذلك بيّنت هاتان الآيتان، أنه عليه السلام قد أُجيبَ إلى طلبه بالتمكين ممّا طلبه بتيسير الله، فقال سبحانه "مُعَلِّماً بأنه أُجيب بتسخير الله له: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾؛ أي: ومثل ما مكنّا ليوسف في قلب الملك من المودة والاعتقاد الصالح، وفي قلوب جميع الناس، ومثل ما سأل من التمكين ﴿مَكَّنَّا﴾؛ أي: بما لنا من العظمة ﴿لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: مُطلقاً، لا سيما أرض مصر، بتولية ملكها إياه عليها" (1).

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مَكَّنَّا﴾: فعلٌ ماضٍ جذّره (مكن)، وله أصلٌ واحدٌ (2)، يدور معناه حول رُسوخِ الشيءِ مُتَجَمِّعاً في باطنٍ يَلْتَمِصُ عليه، كَبَيضِ الضَّبَابِ والجَرَادِ في باطنيهما، والتَّمَكُّنُ: رُسُوخٌ في باطن، مَكَّنَهُ من الشيءِ، ومَكَّنَ له: جَعَلَ له عليه سلطاناً وقُدْرَةً، والتَّمَكُّنُ من

تَكْمِلَةُ الْمَشَاهِدِ،
لِتَأْكِيدِ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى حِينَ
يَهَبُ، فَعَطَاؤُهُ
مَمْدُودٌ، وَلَيْسَتْ
تَحُدُّهُ حَدُودٌ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/132.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكن).

الشَّيْءُ: إنَّالَهُ ما يَصْحُحُ به الفعلُ من الآلاتِ والقُوى⁽¹⁾. قال الجوهريُّ: "والمكانة: المنزل. وفلان مكيْنٌ عند فلانٍ: بيْنُ المكانة. والمكانة: المَوْضِع. قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ [يس: 67]، قال: ولما كثر لزومُ الميم، تَوَهَّمتُ أصليَّةً، ففعل: تمكَّن، كما قالوا منَ المسكين: تمسَّكَن⁽²⁾، ومكنا ليوسفَ: جَعَلْنَاهُ في المكانةِ الرَّفيعةِ منَ السُّلطانِ والجاه⁽³⁾.

(2) ﴿يَتَّبِعُوا﴾: أصلُ البَوَاء: مساواةُ الأجزاءِ في المكان. يُقال: مكانٌ بَوَاءٌ: إذا لم يكن نابياً بنازلِهِ، وبَوَّأتُ له مكاناً: سوَّيْتُهُ فتَبَوَّأ، قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾⁽⁴⁾، وتَبَوَّأ فلانٌ منزلاً إذا اتَّخَذَهُ، وتَبَوَّأ: هَيَّأ وأصلَحَ، وتَبَوَّأ: نَزَلَ وأقامَ⁽⁵⁾.

❁ الْمَغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

كما مَنَّنَا على يوسفَ بالبراءةِ والخلاصِ من السَّجَنِ، مَنَّنَا عليه بالتَّمَكُّينِ له في مِصْرَ، بعدَ الحبسِ والضَّيقِ، والعبوديةِ والأسْرِ، فصارَ يَنْزِلُ ويُقيِّمُ في أيِّ مكانٍ شاءَ، ويصنَعُ فيها ما يشاءُ، نُعْطِي من رَحْمَتِنَا في الدُّنْيَا مَنْ نَشَاءُ من عبادِنَا، ولا نُضِيعُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، بَلْ نُوَفِّيهِمْ إِيَّاهُ كامِلاً غيرَ منقوصٍ، ولثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ في الآخِرَةِ خَيْرٌ من ثَوَابِ الدُّنْيَا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَكَانُوا يَتَّقُونَهُ، بامْتِثَالِ أوامِرِهِ واجْتِنَابِ نواهِيهِ⁽⁶⁾. والآيةُ الكريمةُ تُبَيِّنُ أَنَّ أَجَرَ الآخِرَةِ خَيْرٌ من هَذَا الَّذِي رَأَيْنَاهُ ليوسفَ الصِّدِّيقِ، ﷺ، وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّهُ مَنْ كَانَ فِيهِ وَصَفَانِ: الوصفُ الأوَّلُ: الإِيْمَانُ، وهو يشملُ الإِيْمَانَ بِاللَّهِ تعالى، وهو

التَّمَكُّينُ بعدَ
الانْتِلاءِ من شَتَنِ
اللهِ تعالى، في
عبادِهِ الصَّالِحِينَ
أَوْصافُ مَنْ
يَسْتَحِقُّ ثَوَابَ
الآخِرَةِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيِّ للُّضَل: (مكن).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (مكن).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/20.

(4) الرَّاغِب، المفردات: (باء).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (باء).

(6) ابن جرير، جامع البيان: 16/151، والبغوي، معالم التنزيل: 4/252، وجماعة من العلماء، المختصر

في تفسير القرآن الكريم، ص: 242.

رَأْسُ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانَ بِالْحَقِّ، وَالْإِيمَانَ بِالْفَضَائِلِ، وَالْإِيمَانَ بِحَقُوقِ النَّاسِ، وَحِمَايَةَ هَذِهِ الْحَقُوقِ. وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنُ هَذَا كُلَّهُ. وَالْوَصْفُ الثَّانِي: التَّقْوَى وَالِاسْتِمْرَارُ عَلَيْهَا، وَالتَّقْوَى اسْتِشْعَارُ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَفَاسِدِ أَيًّا كَانَتْ وَقَايَةً مِنَ الْإِنْحِدَارِ فِي مَخَازِي الشَّيْطَانِ⁽¹⁾، وَجَوَازُ الْحِيلَةِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَطْلَبٍ شَرْعِيٍّ بِشَرْطِ عَدَمِ الْإِضْرَارِ بِالْآخَرِينَ⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دَلَالَةُ الْوَاوِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

الواوُ في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ هي واوُ الاستثناء⁽³⁾، والجملة مستأنفةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، ويمكنُ أن تكون عاطفةً من باب عطف القصة على القصة، ولها أثرٌ في الإبانة عن المراد، في المعنى المُستفاد.

بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ فِي جُمْلَةِ الْاسْتِثْنَاءِ:

والكلام مبنيٌّ على التشبيه؛ أي: ومثلُ ما مَكَّنَّا لِيُوسُفَ في قلب الملك، من المودة والاعتقادِ الصَّالِحِ، وفي قلوب جميعِ النَّاسِ، ومثلُ ما سأل هو من التَّمَكِينِ: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾.

معنى الكافِ ودلالاتُها:

في قولِ الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ جاءتِ الكافُ نائِبَ مفعولٍ مُطلقٍ؛ أي: مَكَّنَّا لِيُوسُفَ تَمَكِينًا مِثْلَ ذَلِكَ التَّمَكِينِ⁽⁵⁾، وهي أداة تشبيه دالةٌ على وجود تشبيه في الجملة، والمعنى: "أنَّه بهذا التدبير الذي كان من الله، أصبح يوسفٌ مُمَكَّنًا في الأرض ذا سلطانٍ

تَلَوُّنٌ حَزَفٍ
لِلْعَنَى، بَيْنَ
الْاسْتِثْنَاءِ
وَالْعُطْفِ،
يُفْسَخُ الْمَعْنَى
لِأَكْثَرِ مِنْ دَلَالَةٍ

تَمَكِينُ اللَّهِ
لِيُوسُفَ مُعْجَزَةٌ
خَارِقَةٌ فِي ظُرُوفِ
صَنَعَتِهَا الْقُدْرَةُ
وَلَمْ تَكُنْ سَانِحَةً

مِنْ مَكَّنَّتِهِ يَدُ
اللَّهِ، خَصَّصَتْ
لَهُ سَائِرَ
الْمُسَخَّرَاتِ بِإِذْنِ
اللَّهِ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3836.

(2) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ دليلٌ على إجازة الحيلة في التَّوَصُّلِ إِلَى الْمُبَاحِ، وما فيه الغِبْطَةُ وَالصَّلَاحُ، وَاسْتِخْرَاجُ الْحَقُوقِ.

(3) الْخَرَّاطُ، لِلْجَنَّتِيِّ: 2/507، وَالْخَطِيبُ وَآخَرَانِ، التَّفْصِيلُ: 7/12.

(4) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 10/132.

(5) الْخَرَّاطُ، لِلْجَنَّتِيِّ: 2/507.

فيها، يفعل ما يشاء، ويمضي ما يريد، غير واقع تحت سلطان أحد..
وأنه لا خوف من مثل هذا السلطان المطلق، الذي قام عليه حارسان
لا يغفلان، هما الحفظ للأمانة، والعلم بمواقع الخير للناس⁽¹⁾.

بلاغة التشبيه المركب:

أي: ومثل ذلك التمكن الظاهر ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾⁽²⁾، وذلك أنه
شبهه تمكين الله تعالى: ﴿لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾،
وهو من إنعامه عليه، بتمكينه إياه في قلب الملك وقلوب الناس،
وإنعامه عليه بإخراجه من الجب وبالبراءة، وبالنبوة وغيرها.
والجامع بين ركني التشبيه، هو إنعام الله تعالى على يوسف ﷺ
في الحالين.

نكتة التعبير باسم الإشارة للبعيد ﴿وَكَذَلِكَ﴾:

أشير إلى التمكن باسم الإشارة الدال على البعد، للدلالة على
علو هذا التمكن وبعده مكانته، وأنه قد "بلغ غاية ما يطلب من نوعه،
بحيث لو أريد تشبيهه بتمكين أتم منه لما كان، إلا أن يشبهه بنفسه"⁽³⁾،
وهو أحد وجهين في إجراء التشبيه في الآية، أحدهما الذي مضى
سابقاً في فقرة إجراء التشبيه المركب، والثاني هو هذا، وكأنه من
باب تشبيه الشيء بنفسه "فتكون الكاف في محل نصب على المفعول
المطلق، والتقدير: مكنا ليوسف تمكيناً كذلك التمكن"⁽⁴⁾.

نكتة التعبير بـ ﴿مَكَّنَّا﴾، مادة وصيغة:

أما بالنسبة للمادة (مكن)، فمألها إلى الاستقرار والقوة،
والتمكن من الشيء والرسوخ⁽⁵⁾ أيضاً.

بيان معالم
التمكن ليوسف
الأمين، بأسلوب
بياني جميل

الدلالة على
علو تمكين الله
ليوسف ﷺ
وعلو مكانته

الدلالة على قوة
التمكن وكونه
قد حصل من
أول الأمر

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 7/7.

(2) الزمخشري، الكشاف: 2/483، وأبو حيان، البحر الحيط: 6/255.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/246.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/446.

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (مكن).

أما الصَّيْغَةُ وهي التَّعْبِيرُ بالماضي للدَّلالةِ على تحقُّقِ حصولِ التَّمَكِّينِ له ﷺ "من أَوَّلِ الأمرِ، لا أَنَّهُ حصلَ بعد السَّوَالِ"⁽¹⁾.

نُكْتَةُ إِضَافَةِ التَّمَكِّينِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَظْمَةِ لِلْمَتَكَلِّمِ:

في إسنَادِ التَّمَكِّينِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَظْمَةِ دَلِيلٌ عَلَى قِيَمَتِهِ وَمَقْدَارِهِ، فهو عَظِيمٌ لكونه مُسْنَدًا إِلَى عَظِيمٍ.

وفيه كذلك الدَّلالةُ على "تَشْرِيفِهِ ﷺ، والمبالغةِ في كمالِ ولايته"⁽²⁾، "وإرادةُ الله تعالى التَّمَكِّينَ؛ أي: كهذا الَّذِي رآه القارئُ في القِصَّةِ، كان تمكِينُ الله ليوسفَ ﷺ، فهذا التَّشْبِيهُ يُفِيدُ أَنَّ ما كان ليوسفَ في هذه الأدوارِ، كان بتمكينِ الله"⁽³⁾.

معنى اللَّامِ في: ﴿لِيُوسَفَ﴾:

اللَّامُ في ﴿لِيُوسَفَ﴾ قيل: زائدةٌ. على رأي مَنْ يُجِيزُ ذلك⁽⁴⁾، وقد جَوَّزَ أَنْ تكونَ ناصِرةً للفعلِ على معنى: مكَّنَّا له الأمورَ⁽⁵⁾.

بَلَاغَةُ الْإِظْهَارِ بَعْدَ الْإِضْمَارِ:

في قولِ الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسَفَ﴾ أَظْهَرَ اسْمُ (يوسف) بعد سَبَقِ الْإِخْبَارِ عنه بِالضَّمائِرِ فيما سَبَقَ، إِكْرَامًا لَهُ ﷺ، وإِبْرَازًا لاسْمِهِ الشَّرِيفِ بعد أَنْ اِمْتَنَّ اللهُ عليه بِالْوِلَايَةِ وَالتَّمَكِّينِ بعد السَّجَنِ، وبالإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ بعد ما عَانَاهُ من شِدَائِدِ وَمَصَاعِبِ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بـ ﴿فِي﴾ الظَّرْفِيَّةِ:

دَلَّ التَّعْبِيرُ بـ ﴿فِي﴾ الَّتِي تُفِيدُ الظَّرْفِيَّةَ الْمَجَازِيَّةَ، وَالظَّرْفِيَّةَ تُفِيدُ الْاِسْتِقْرَارَ وَالتَّمَكُّنَ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى الْحَالَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي انْتَقَلَ إِلَيْهَا ﷺ، مِنْ الضَّدِّ إِلَى الضَّدِّ، فَقَدْ مَكَّنَهُ اللهُ مِنْ أَنْ يَرْتَقِيَ مَكَانَ الْعِزِّ،

ما يُسْنَدُ مِنْ
الأَفْعَالِ إِلَى
العَظِيمِ فَهُوَ لَا
مَحَالَةَ عَظِيمٌ

تَكْرِيمُهُ
بِإِظْهَارِ اسْمِهِ
مِنْ فَصِيحِ
الْبَيَانِ عَنْ مَقَامِهِ
وَعُلُوِّ شَأْنِهِ

الدَّلالَةُ عَلَى
الاستِقْرَارِ
والتَّمَكُّنِ،
بحِزْفِ المعْنَى مِنْ
فصيحِ الْبَيَانِ

(1) الألويسي، روح المعاني: 7/8.

(2) الألويسي، روح المعاني: 7/8.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3835.

(4) السمين الحلبي، الدُّرُّ للصون: 6/515، والغُبَرِيُّ، التَّبَيَان: 2/736.

(5) الهمداني، الكتاب الفريد: 3/603.

بعد أن توعدته امرأة العزيز بأن يكون ﴿مَنْ الصَّغِيرَيْنِ﴾ (٣٢) [يوسف: 32]، بل ربما مكان العزيز نفسه الذي كان قد أودعه السجن. وسُبْحَانَ مَنْ يَغَيِّرُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وينزعُ الملكَ مِمَّنْ يشاء، ويؤتِيهِ مَنْ يشاء بحكمته البالغة، في العطاء والمنع.

معنى (أل) في: ﴿الْأَرْضُ﴾:

(أل) في ﴿الْأَرْضُ﴾ هي العهدية؛ أي: أرض مصر، التي كان يحكمها ذلك الملك، كما سبق أن تم توجيهها؛ (أي: اللام) في قوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾.

نكتة الفصل: ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾:

نكتة فصل جملة ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، هو كونها بياناً لقوله: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾.

ويجوز أن تكون حالاً من ﴿لِيُوسُفَ﴾⁽¹⁾ فيكون ذلك أيضاً مُسَوِّغاً للفصل، حيث إن فعلها مضارعٌ مُثَبَّتٌ، وكونُ فعلِ الجملة الحالية كذلك، هو من الحالات التي تُفَصِّلُ فيها الجملة الحالية⁽²⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) [يوسف: 16] فقوله: ﴿يَبْكُونَ﴾ (١٦) [يوسف: 16] جملةٌ حاليةٌ، فعلها مضارعٌ مُثَبَّتٌ، ولذا تم فصلها.

دلالة التعبير بـ ﴿يَتَّبِعُوا﴾:

دلالة الفعل على كثرة تجوُّله ﷺ في البلادِ واتِّخاذهِ مقرَّاتٍ لمتابعة المسؤولينِ والالتقاءِ بالناسِ، والتَّبَوُّء: تفعلُّ من البَوء؛ أي: الرجوعُ، وأصله من المِباءة؛ وهي المَرْجِعُ. قال الأعشى:

وَمَا بَوَّاءُ الرَّحْمَنِ بَيْتَكَ مَنَزَلاً *** بِشَرْقِيٍّ أَجْيَادِ الصِّفَا وَالْمُحَرَّمِ⁽³⁾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/10.

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 204، والهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 188.

(3) السمين الحلي، الذر اللصون: 3/379.

أَرْضُ مَضَرِّ بَلَدٍ
مَبَارَكٌ حَدَّثَتْ
فِيهِ الْقِصَّةُ
وَنَوْهَ بِهِ السِّيَاقُ
الْقِرَائِي

الْفَضْلُ إِمَّا لَكُونِ
الْجَمْلَةِ بَيَانِيَّةً أَوْ
حَالِيَّةً

أَخْبَاهُ
بَيَوْتًا وَمَقَرَّاتٍ،
فِي سَائِرِ الدَّوَلَةِ
لِتَيْسِيرِ مُتَابَعَةِ
الْمَسْئُولِيَّاتِ

وقد يُفهم منه أيضًا أنه ﷺ جعل لنفسه بيتًا في أكثر من مكان⁽¹⁾؛ أي: بسبب كثرة تجوُّله في أنحاء الدولة، ورعاية المصالح فيها، ومتابعتها ومقابلة أهلها للوقوف على مشكلاتهم وحاجياتهم.

غرض الإضمار بعد الإظهار في فاعل ﴿يَتَّبِعُوا﴾:

أُضْمِرَ فاعل ﴿يَتَّبِعُوا﴾ لانصرافه إلى المظهر قبله، وهو ﴿يُؤَسِّفُ﴾ بلا أدنى التباس، في أن يعودَ إلى الملك، لكونه المذكور، وليس الملك، ولأنَّ الملك كان ممكَّنًا له في دولته من قبله، ويتَّبِعُوا فيها حيث يشاء.

نكتة حذف متعلّق التَّبَوُّء في السياق:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ التَّبَوُّءِ لإطلاق معناه، بعيدًا عن قيّد الذّكر الذي قد يحدُّ من طلاقة معناه. والتّقدير: مكَّنّا له كلّ شيء، أو "مكَّنّا له الأمور"⁽²⁾ ونحو هذا ممّا يلائم عموم معنى المحذوف وطلاقة.

معنى (من) في شبه الجملة ﴿مِنْهَا﴾:

(من) في ﴿مِنْهَا﴾ بيانية لا تبعية؛ لأنَّ الملك أطلق له حرية التّصرّف في سائر الدولة، وليس في جزء منها، "وبذلك أنعم الله على يوسف نعمةً جليّةً، فجعل له سلطانًا وقدرةً في أرض مصر، يتَّبِعُوا منها حيث يشاء، وهذا شأنُ الله في عباده، يهبُ نعمته لمن يختاره منهم، ولا يُضِيعُ أجرَ المحسنين"⁽³⁾.

عَوْدُ الضّمير في شبه الجملة ﴿مِنْهَا﴾:

الضّمير يعودُ إلى ﴿الأرض﴾ وهي مصر، ومنها جارٌّ ومجرور، متعلّقان بـيَتَّبِعُوا، والمعنى: "مِنْهَا: أي: ينزلُ من بلادها حيث يشاء، وذلك أنه ﷺ، لما ولّاه النّظرَ على خزائن مصر، تجوّل في قُطرها، وطاف قُراها، والأمرُ أمرُه، والإشارةُ إشارته، عنايةً منه تعالى ورحمةً"⁽⁴⁾.

إذا أُمِنَ اللَّبَسُ
كان الإضمارُ أثرَ
وأبلغ في السياقِ

حذف المفعول
للتعميم،
مفيد في الإبانة
والإيضاح
للمعنى

بيان مجال
التَّبَوُّءِ في مصرَ
قاطبةً بإطلاقِ
يده في الحُكمِ
والتّسييرِ

مَنْ بَوَّاهُ اللهُ مَنْ
الأرض، وضعَ له
قبولًا وبسطَ له
سلطانًا

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11/7002.

(2) الألوسي، روح المعاني: 7/8.

(3) إبراهيم القطان، تيسير التفسير: 2/257.

(4) القاسمي، محاسن التّأويل: 6/193.

إفادة اتساع
سلطان يوسف
وتمكّنه من
الأرض كما أراد
الله وقدر

من أراد الله
له التمكن
بؤاه من الأرض
كما يفعل
بالصالحين

اختلاف القراءة،
مفيد في كشف
اللعاني المتعددة

معنى ﴿حَيْثُ﴾ وموقعها في السياق:

﴿حَيْثُ﴾ ظرف مكان، وقد تردّ للزمان، والغالب فيها كونها في محل نصب على الظرفية، أو خفض بمن وقد تُخفّض بغيرها⁽¹⁾، وهي هنا يجوز أن تكون ظرفاً لـ ﴿يَنْبَوُا﴾، ويجوز أن تكون مفعولاً به⁽²⁾، والمعنى: "ينزل من بلادها ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ويتخذ مباءةً، وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها، ودخولها تحت مملكته وسلطانه، فكانها منزله، يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله"⁽³⁾.

نكتة التعبير بالمضارع في ﴿يَشَاءُ﴾:

التعبير بالمضارع في ﴿يَشَاءُ﴾ يفيد الاستمرار والتجدد مهما تكررت المشيئة، ومعنى ﴿يَنْبَوُا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: أي: "ينزل من بلادها حيث يريد هو، أو ينزل منها حيث نريد"، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، بل نُوفي أجورهم عاجلاً وأجلاً. ويوسف أفضلهم في زمانه، فمكّنه الله من أرض مصر، حتى ملكها بأجمعها⁽⁴⁾.

بلغة توجيه القراءات القرآنية في ﴿يَشَاءُ﴾:

قرأ ابن كثير ﴿نَشَاءُ﴾ بالنون على أنها نون العظمة لله تعالى، وقرأ الباقون ﴿يَشَاءُ﴾ بالياء على أنه ضمير يوسف ﷺ، وفي هذا تكريم له ما بعده تكريم. ففي ﴿حَيْثُ يَشَاءُ﴾ "ويتخذ مباءةً وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت مملكته وسلطانه، فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله"، وفي قراءة: ﴿حَيْثُ نَشَاءُ﴾ فيتناسب مع قوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾؛ أي: بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة⁽⁵⁾.

(1) ابن هشام، مُغْنِي اللَّيْبِ، ص: 176.

(2) السمين الحلي، الدُرُّ للصون: 6/516.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/257.

(4) ابن عجيبة، البحر اللديد: 2/606.

(5) أ - أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/287.

وَجَوَّزَ أَبُو حَيَّانَ أَنْ يَكُونَ الْفَاعِلُ فِي قِرَاءَةِ الْيَاءِ ضَمِيرَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَيَكُونَ التَّفَاتًا⁽¹⁾.

بلغة الكناية في: ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾:

الجملة تدلُّ على إطلاق يده ﷺ، بالتَّصَرُّفِ في سائر الدَّوَلِ
كيفما شاء، وكأنَّها كُلُّها قد صارت له سَكْنًا وراحةً، تمامًا كما
يتصرَّفُ صاحبُ المسكن في مسكنه، فالجملة كنايةٌ عن هذا
التَّصَرُّفِ⁽²⁾.

نكتة الفصل: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾:

فَصَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ عَلَى الْإِسْتِنَافِ
الْبَيَانِيِّ، فَكَانَتْ قِيلَ: لَمْ كَانَ هَذَا⁽³⁾ فَقَالَ: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ
نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. أَوْ يَكُونُ سَبَبُ الْفَصْلِ هُوَ
(كَمَا الْإِتِّصَالُ)، عَلَى أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ تَعْلِيلِيَّةً، قَدْ عُلِّتْ بِهَا
الْجُمْلَةُ السَّابِقَةُ.

دلالة التعبير بالمضارع بالفعل ﴿نُصِيبُ﴾:

فِي التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ ﴿نُصِيبُ﴾ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِمْرَارِ اللَّطْفِ
بِالرَّحْمَةِ، مَنْ شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى، لَهُ ذَلِكَ وَاخْتَصَّتْ بِهَا، وَفِيهِ
مَعْنَى: "إِنَّهُ تَعَالَى يُصِيبُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ،
الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ، وَإِنَّهُ لَمْ يَضَعْ صَبْرَ يُوسُفَ، عَلَى أَذَى إِخْوَتِهِ،
وَصَبْرَهُ فِي السَّجْنِ"⁽⁴⁾.

فائدة إسناد الإصابة إلى ضمير العظمة:

فِي إِسْنَادِ الْإِصَابَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظْمَةِ ﴿نُصِيبُ﴾، دَلِيلٌ عَلَى
اِخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا يَدُلُّ

بيان إطلاق
تصرفه ﷺ في
مملكة مصر
كيفما شاء

الاستئناف
البياني وأثره في
ترسيخ المعاني

رحمة الله
متعلقة
بمشيئته في
إحاطة من أراد
الله بالظافها

الإسناد إلى
ضمير العظمة
للتنبية على
اختصاصه
شبحانه بالأمر

(1) السَّيِّمِ الْحَلْبِيِّ، الذَّرُّ لِلصُّون: 6/516.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 11/264: 13/10.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نَظْمُ الدَّرَرِ: 10/132.

(4) حَوْمِد، أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ: 1/1653.

على عَظْمَةِ هذه الرَّحْمَةِ بِمَنْ اخْتَصَّهَ اللَّهُ تعالى بها؛ لكونها من
اللَّهُ تعالى.

معنى الباء في: ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾:

رحمة الله عطاء
ممدود، وهي
سبب لكل نطف
وتكرمة

الباءُ للإلصاق، وهو أصلُ معناها، أو للسببية؛ أي: بسببِ
رحمتِنَا "نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ؛ أي: رحمة من عبادنا، ولا نُضِيعُ
أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وهذا وعدٌ من الله تعالى لأهل الإحسان بتوفيتهم
أجورهم، ويوسفُ ﷺ مَمَّنْ شاءَ الله رحمتهم كما هو من أهل
الإحسان الذين يُوفِّيهِمُ اللهُ تعالى أجورهم في الدنيا والآخرة" (1).

نُكْتَةُ إِضَافَةِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَظْمَةِ:

الرَّحْمَةُ الْمُسْتَدَّةُ
إِلَى الرَّحِيمِ أَمَانٌ
وَضَمَانٌ وَتَكْرِيمٌ

في إسنَادِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْعَظْمَةِ ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾، أيضاً دليلٌ
على اختصاصِ ذلك بالله تعالى، فهو الَّذِي يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وقوله
تعالى: بِرَحْمَتِنَا؛ أي: بإحساننا، والرَّحْمَةُ: النِّعْمَةُ والإحسانُ. وَلَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ؛ أي: لَا نُضِيعُ ثَوَابَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ أَعْمَالَهُمْ،
فَنَمْنَحُهُمْ فِي الدُّنْيَا سَعَادَةً وَعِزًّا وَمَكَانَةً، وَفِي الْآخِرَةِ خُلُودًا فِي
الْجَنَّةِ (2)، وَالْإِحْسَانُ جزءٌ من رحمة الرَّحْمَنِ الَّتِي تَفِيضُ بِالْعَطَاءِ
وَاللِّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ.

معنى ﴿مَنْ﴾ الموصولة، ودلالة جملة الصلة في السياق:

الجملة الموصولة
بناءً معنوي
مُتَكَامِلٌ يُعَبِّرُ
عَنِ الدَّلَالَةِ بِدِقَّةٍ

﴿مَنْ﴾ اسْمٌ مُوصُولٌ، واستعمالُها عامَّةً (مَنْ)، عوضُ الموصولاتِ
الخاصَّةِ، يُشِيرُ إِلَى عُمُومِ الرَّحْمَةِ وَارْتِبَاطِهَا بِالْمَشِئَةِ، وَأَنَّ الْعَقَّةَ
وَالطُّهَرَ، مَنْ شَأْنُهَا أَنْ تَوُودَ بِصَاحِبِهَا إِلَى رِفْعَةِ الشَّأْنِ وَعِلْوِ الْمَكَانَةِ،
وَكَانَتْ صِلَةُ الْمَوْصُولِ جَمْلَةً فَعْلِيَّةً تَرْسُمُ مَعَالِمَ الْمَشِئَةِ الْإِلَهِيَّةِ
الْمُطْلَقَةِ، وَهِيَ مَشِئَةٌ رَاحِمَةٌ لِكُلِّ مَنْ شَاءَتْ، وَهِيَ لَا تَغْمِطُ الْمُحْسِنِينَ
حَقَّهُمْ، وَلَا تُضِيعُ إِحْسَانَهُمْ.

(1) الجزائري، أيسر التفاسير: 2/624.

(2) الزحيلي، التفسير المنير: 10/13.

نكتة التعبير بالمضارع في ﴿نَشَاءُ﴾:

للدلالة على أن رحمة الله تعالى، موصولة بمن اختصهم بها وأرادها لهم، إذ المعنى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾، أن نُصِيبَهُ بِالرَّحْمَةِ مِنَ عِبَادِنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاسْتَمَرُّوا عَلَى التَّقْوَى⁽¹⁾، ويدخل يوسف ﷺ، تحت القصد دخولاً أولياً.

الدلالة على أن
رحمة الله تعالى
موصولة بمن
اختصهم بها

نكتة إسناد المشيئة إلى ضمير العظمة:

في إسناد المشيئة إلى ضمير العظمة ﴿نَشَاءُ﴾، دلالة بحسب السياق على ما أصاب يوسف ﷺ من رحمة، فهي بمشيئة الله الجارية على مقتضى الحكمة الإلهية. ومعنى ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾؛ أي: بنعمتنا⁽²⁾، وهذا مطلق الإنعام، ومُنْتَهَى الإكرام، حيث لُطِفَ المشيئة الغامر، قد طال الأوائل والأواخر، واستبان في عُقبى يوسف، بعد الحماية والنجاة والتمكين.

ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم
يكن

فائدة العطف في: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾:

جملة: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾ معطوفة على جملة ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾، وكتاهما نتيجة للسؤال المُقَدَّر: لماذا مَكَّنَ الله تعالى ليوسف هذا التمكن؟ فكان الجواب: قد وقع ذلك لأمرين: أحدهما: أن لنا الأمر كله ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾، على وجه الاختصاص؛ أي: وليس على وجه العموم، لتقييدها بالمشيئة، ويوسف ﷺ، قد شاء الله له أن يُصِيبَهُ بِرَحْمَتِهِ، ويُعَمِّمَ عَلَيْهِ بِفَضْلِهِ، وثانيهما: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِرَحْمَتِنَا وَحُكْمَتِنَا، وإن كان لنا أن نفعل غير ذلك⁽³⁾. وهذا عامٌ وحاصل لكل المحسنين - ويوسف ﷺ منهم - دون استثناء ولذا لم يُقَيِّدْهُ بِالْمَشِيئَةِ كَمَا قَيَّدَ سَابِقَهُ.

حكمة الله لا
يضيع معها حق
ولا يُستنقص
إحسان

(1) الألوسي، روح المعاني: 7/8.

(2) التعلبي، الكشف والبيان: 5/232.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/132.

نكتة التعبير بالمضارع في: ﴿وَلَا نُضِيعُ﴾:

التعبير
عن الملازمة
والاستمرار
مفصّل عن المراد
من السياق

التعبير بالمضارع في قوله سبحانه: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، للدلالة على ملازمة هذا الفعل واستمراره، فالله تعالى لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ مطلقاً، بل يزيده من فضله.

نكتة إسناد الفعل ﴿نُضِيعُ﴾ إلى ضمير العظمة:

التعريض بغير
المُحْسِنِينَ بعد
طُمأنة المُحْسِنِينَ
على أجرهم
المستحقّ

في إسنادِهِ إلى ضمير الْعَظْمَةِ دلالة على أنّه سبحانه وحده الذي لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، وفيه تعريضٌ بالبشر الذين يتنكّرون للإحسان، ويُحاربون الْمُحْسِنِينَ، بدلَ أن يُقدِّروا لهم إحسانهم ويكافئوهم عليه.

نكتة إضافة الأجر للمُحْسِنِينَ:

التزم الله تعالى
بحفظ أجر
العاملين لأنّه
لا يُضِيعُ أَجْرَ
المُحْسِنِينَ

وفي تلك الإضافة فائدة هي أنّ هذا الأجر والإنعام الذي أصاب يوسف ﷺ، والذي يُصيب كلَّ الْمُحْسِنِينَ، إنّما هو بسبب إحسانهم، والمعنى: أي: "نختصّ بنعمتنا: (النِّبُوَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَالنَّجَاةَ) مَنْ نَشَاءُ ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ يعني: لا نبطلُ ثوابَ المُوحِّدين، حتّى نُوفِّيَهُ جزاءً في الدنيا، ومع ذلك له ثوابٌ في الآخرة" (1)، وكلُّ مَنْ صبر جُوزي على ذلك، قال أحدهم:

وراء مَضِيقِ الْخَوْفِ مُتَسَّعُ الْأَمْنِ *** وَأَوَّلُ مَفْرُوحٍ بِهِ آخِرُ الْحُزَنِ
فَلَا تَيَأَسَنَّ فَإِنَّهُ مَلَكٌ يَوْسُفًا *** خَزَائِنُهُ بَعْدَ الْخَلَاصِ مِنَ السَّجَنِ (2)

دلالة (أل) في: ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾:

يوسف هو
محورُ الإحسان
وغيضه الفينان
على مدى الزمان

(أل) في ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ هي الجِنْسِيَّةُ المُفِيدَةُ للاستغراق، وهي تجعل الاسم مُفيداً للعموم، لكنّ على أن يدخل فيه دخولاً أوّلياً يوسف ﷺ؛ لأنّه محورُ السِّياق، وعليه يدور الكلام، وهو الموصوفُ

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/198.

(2) التعلبي، الكشف والبيان: 5/233.

في السّورة من قبلُ ومن بعدُ، بأنّه منهم ﴿إِنَّا نَرْلِكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿٣٦﴾ [يوسف: 36، 78].

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ لإفادة العموم حتّى لا يُقَيَّدَ بنوعٍ محدّدٍ من أنواع الإحسان، وعدم إضاعة أجرِ المُحْسِنِينَ، بمعنى: نوفيّه بكَمالِهِ، وفيه إشعارٌ بأنّ مدارَ المشيئةِ المذكورةِ، إحسانُ مَنْ تصيُّبه الرّحمةُ المرقومةُ، وأنّها أجرٌ له ولدفعِ توهمِ انحصارِ ثمراتِ الإحسان، فيما ذكرَ مَنْ الأجرِ العاجِلِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾:

عبّر القرآن الكريم بالاسم المجموع جمع سلامة ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، مؤثِّراً إيّاه على التعبير بالاسم الموصول وصلته (الَّذِينَ أَحْسَنُوا) أو (الَّذِينَ يُحْسِنُونَ)، للدلالة على عراقتهم، في هذه الصّفةِ ورسوخها فيهم، وأنّها لم تكن مجردَ حَدَثٍ قد مضى ومَرَّ، أو أنّه فعلٌ يتجدّد.

معنى الواوِ في: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾:

الواوِ في قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾، هي واوُ الحال⁽²⁾، قال مجاهدٌ وغيره: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: ثوابها خيرٌ من نِعماء الدّنيا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ⁽³⁾، أو: "إنّ ثواب الآخرة للمؤمنين الاتقياء، وهو التَّعَمُّمُ في الجنانِ خيرٌ وأعظمُ وأكثرُ من خير الدّنيا، وما فيها من متاعِ العزِّ والسُّلطانِ، والجاهِ والمُلْكِ، والمالِ والزَّينةِ ونحو ذلك. والله تعالى يُخَبِّرُ بهذا أنّ ما أدخره لنبيّه يوسف ﷺ، في الدّار الآخرة، أعظمُ وأكثرُ وأجلُّ ممّا أنعمَ عليه من التَّصَرُّفِ والنَّفوذِ في الدّنيا"⁽⁴⁾.

حَذْفُ الْمُتَعَلِّقِ
لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ
مِنْ فَصِيحِ
الْبَيَانِ

الدَّلَالَةُ عَلَى
عِرَاقَةِ صِفَةِ
الْإِحْسَانِ
وَرُسُوخِهَا فِي
الْمُحْسِنِينَ

ثَوَابُ الْآخِرَةِ
بِالتَّعَمُّمِ فِي
الْجَنَانِ خَيْرٌ مِنْ
الدُّنْيَا وَمَتَاعِ
الْعِزِّ وَالسُّلْطَانِ

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 4/287.

(2) الخطيب وآخرون، التَّفْصِيل: 7/15.

(3) الظَّهْرِيُّ، التَّفْسِيرُ لِلظَّهْرِيِّ: 5/175.

(4) الرِّحْلِيُّ، التَّفْسِيرُ لِلنِّير: 13/10.

دلالة (ال) في: ﴿وَلَأَجْرُ﴾:

الْأَدَمُ مُفِيدَةٌ
تَأْكِيدُ
حُصُولِ الْأَجْرِ
لِلْمُحْسِنِينَ

اللَّامُ فِي ﴿وَلَأَجْرُ﴾ لِلتَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: لِلْقَسَمِ⁽¹⁾، وَعَلَى أَيِّهِمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، فَالْقَصْدُ هُوَ تَأْكِيدُ حُصُولِ الْأَجْرِ لِلْمُحْسِنِينَ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ: ثَوَابُهَا خَيْرٌ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْمَطْلَبَ الْأَعْلَى، هُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ، وَأَنَّ مَا يَدْخُرُ لَهُؤُلَاءِ هُوَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، مِمَّا يُخَوَّلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ التَّمَكِّنِ فِي الْأَرْضِ، وَالْجَاهِ، وَالثَّرْوَةِ وَالْمَلِكِ⁽²⁾.

نُكْتَةُ إِضَافَةِ الْأَجْرِ إِلَى ﴿الْآخِرَةِ﴾:

لَا نَعِيمَ يَغْلُو
فَوْقَ أَجْرِ
الْآخِرَةِ، وَهُوَ
الْجَزَاءُ الْأَوْفَى
لِلْمُحْسِنِينَ
الْبَرَّةِ

إِضَافَةُ الْأَجْرِ إِلَى الْآخِرَةِ لِلْمُلَابَسَةِ⁽³⁾، "وَأَجْرُهُمْ هُوَ الْجَزَاءُ الَّذِي يُجَازِيهِمُ اللَّهُ بِهِ فِيهَا، وَهُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا يَنْفَدُ نَعِيمُهَا، وَلَا تَنْقُضِي مُدَّتُهَا"⁽⁴⁾، وَأَجْرُ الْآخِرَةِ هُوَ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الْمَقِيمِ لِلْمُحْسِنِينَ، وَهُوَ عَطَاءٌ يُقَوِّمُ بِمَوَازِينِ الْآخِرَةِ، وَقَوَانِينِ الْعَالَمِ الْأَبَدِيِّ الْأَسْمَى، وَبِقَدْرِ كَرَمِ اللَّهِ الْأَعْلَى.

معنى (أل) في ﴿الْآخِرَةِ﴾:

الْآخِرَةُ الْمَعْهُودَةُ
لِلوَرُودَةِ خَيْرٍ
وَأَبْقَى لِمَنْ أَتَقَى

(أل) فِي ﴿الْآخِرَةِ﴾ لِلْعَهْدِ، فَلَا آخِرَةَ إِلَّا الْمَعْهُودَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَالْمَعْنَى الدَّلَالِيُّ "فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَجْرِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ أَجَرَ الْآخِرَةِ دَائِمٌ، وَأَجَرَ الدُّنْيَا مَنْقَطِعٌ، الثَّانِي: وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِيُوسُفَ مِنَ التَّشَاغُلِ بِمُلْكِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّبَعَةِ"⁽⁵⁾.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ ﴿خَيْرٍ﴾، وَبَنَائِهَا الصَّرْفِيِّ (أَفْعَل):

الْجَمْعُ
بَيْنَ التَّنْكِيرِ
وَالْتَفْضِيلِ، أَوْ
فِي التَّعْبِيرِ عَنْ
كَمَالِ النَّعِيمِ

﴿خَيْرٍ﴾: اسْمٌ تَفْضِيلٌ، وَأَصْلُهُ: أَخِيرَ، وَحُذِفَتْ هَمْزَتُهُ تَخْفِيفًا، لِكثَرَةِ الِاسْتِعْمَالِ⁽⁶⁾، وَمِثْلُهُ أَيْضًا كَلِمَةُ (شَرٌّ)، وَنَكَرَهُ لَتَفْخِيمِهِ وَلِبَيَانِ

(1) الخطيب وآخران، التفصيل: 7/15.

(2) القاسمي، محاسن التأويل: 7/15.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/287.

(4) القنوجي، فتح البيان: 6/358.

(5) الماوردي، التكت والعيون: 3/53.

(6) ابن مالك، شرح الكافية: 2/1121، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/251.

أنّه جَزِيلٌ جَدًّا، "والمعنى: وَلَثَوَابُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِمَنْ صَدَقَ وَآمَنَ، وخاف عقَابَ اللَّهِ ﷻ واتَّقاهُ سَبْحَانَهُ، ممَّا أُعْطِيَ يَوْسُفُ فِي الدُّنْيَا مَنْ التَّمَكُّينِ فِي أَرْضِ مِصْرَ"⁽¹⁾، والنِّكَرَةُ هُنَا تَشْمَلُ كُلَّ أَلْوَانِ الْخَيْرِ، عَلَى إِطْلَاقِ مَا يُسَمَّى خَيْرًا فِي الْجَنَّةِ الْعَالِيَةِ، ذَاتِ الْقُطُوفِ الدَّانِيَةِ.

نُكْتَةُ تَوَالِي الْمُؤَكَّدَاتِ فِي: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾:

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمُؤَكَّدَاتِ فَأَوَّلًا: اللَّامُ الدَّاخِلَةُ عَلَى لَفْظِ ﴿وَلَأَجْرُ﴾، فَهِيَ لَامُ التَّأَكُّيدِ، وَثَانِيًا: اسْمِيَّةُ الْجُمْلَةِ، وَثَالِثًا: كَلِمَةُ ﴿خَيْرٌ﴾، وَهِيَ اسْمُ تَفْضِيلٍ.

وَالْغَايَةُ مِنْ هَذِهِ الْمُؤَكَّدَاتِ، طَمَآنَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِضَمَانَةِ أَجْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، إِضَافَةً إِلَى مَا نَالُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ.

مَعْنَى اللَّامِ فِي ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

اللَّامُ فِي ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هِيَ لَامُ الْاِسْتِحْقَاقِ، فَأَجْرُ الْآخِرَةِ مُسْتَحَقٌّ فَقَطْ لِلَّذِينَ آمَنُوا، "وَلَمَّا تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْإِحْسَانُ مِنَ الْعَبْدِ، وَالْجَرِيُّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا بَدٌّ مِنْ حُسْنِ عَاقِبَتِهِ فِي الدُّنْيَا، عَقَّبَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَالَ الْآخِرَةِ، أَحْمَدُ وَأَحْرَى، أَنْ تُجْعَلَ غَرَضًا وَمَقْصِدًا"⁽²⁾، وَهِيَ جَزَاءٌ يُسْتَحَقُّهُ الصَّابِرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمُحْسِنِينَ بِالْاِسْمِ الْمَوْصُولِ، وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هُمْ أَنْفُسُهُمُ الْمَعْبُورُ عَنْهُمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِـ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُمْ بِالْاِسْمِ الْمَوْصُولِ ﴿لِلَّذِينَ﴾ مَدْحٌ لَهُمْ وَتَشْرِيفٌ، قَدْ نَالُوهُ بِإِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. وَأَمَّا ذِكْرُ الصَّلَةِ وَمَا

بَيَانُ الْمَفَاضِلَةِ
بَيْنَ أَجْرِ الدُّنْيَا
الْفَانِي وَأَجْرِ
الْآخِرَةِ الْبَاقِي

بَلَاغَةُ لَامِ
الِاسْتِحْقَاقِ

غَرَضُ التَّعْبِيرِ
بِالْمَوْصُولِ
وَصِلَتِهِ،
التَّنْصِيبُ عَلَى
اِسْتِحْقَاقِهِمْ
الْجَزَاءَ

(1) مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ، الْهَدَايَةُ: 5/3590.

(2) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْحَزْرُ الْوَجِيزُ: 3/257.

عُطِفَ عليها، وهي: ﴿ءَامِنُوا وَكَاْنُوا يَتَّقُونَ﴾، فللتنصيصِ على سببِ استحقاقهم الأجر.

نُكْتَةُ تَنوعِ التَّعْبِيرِ بَيْنَ الْمَاضِي وَالْمَضَارِعِ:

الإيمانُ ثابتٌ
والتَّقْوَى
مُتَجَدِّدَةٌ

في قولِ الله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامِنُوا وَكَاْنُوا يَتَّقُونَ﴾ جاءَ التَّعْبِيرُ في جانبِ الإيمانِ بصيغةِ الماضي، وفي جانبِ التَّقْوَى بصيغةِ المضارع؛ لأنَّ الإيمانَ عقدُ القلبِ الجازمُ، فهو حاصلٌ دفعةً واحدةً. وأمَّا التَّقْوَى فهي مُتَجَدِّدَةٌ بتجددِ أسبابِ الأمرِ والنَّهي واختلافِ الأعمالِ والأزمان⁽¹⁾.

نُكْتَةُ دُخُولِ (كَانَ) مَعَ التَّقْوَى:

التَّقْوَى لَا
تُفَارِقُهُمْ تَقْوَاهُمْ
فِي غُسْرٍ وَلَا يُسْرِ

دخولُ (كانَ) مع التَّقْوَى مضارعاً ﴿وَكَاْنُوا يَتَّقُونَ﴾، دليلٌ على أنَّ التَّقْوَى لم تُفَارِقْهُمْ في الماضي، وأنَّها كانت ملازمةً لهم؛ وذلك أخذاً من صيغةِ الماضي ﴿وَكَاْنُوا﴾، ثمَّ إنَّها حاضرةٌ معهم ومُتَجَدِّدَةٌ أخذاً من صيغةِ المضارعِ في ﴿يَتَّقُونَ﴾⁽²⁾.

❁ الْفَرْقُ الْمُبْجَمِيَّةُ:

التَّبَوُّؤُ وَالْإِقَامَةُ وَالسَّكَنُ:

التَّبَوُّؤُ هُوَ
لِلْمَكَانِ الَّذِي
يَبَوُّؤُ إِلَيْهِ الْمَرْءُ
أَحْيَانًا، وَالْإِقَامَةُ
وَالسَّكَنُ
يُفِيدَانِ الدَّوَامَ
وَالْإِسْتِقْرَارَ

السُّكُونُ: ثَبُوتُ الشَّيْءِ بَعْدَ تَحَرُّكِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْإِسْطِيْطَانِ، نَحْوُ: سَكَنَ فُلَانٌ مَكَانَ كَذَا؛ أَيْ: اسْتَوَظَنَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: 37]⁽³⁾. وَالسَّكَنُ: اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَسْكُونِ. يُقَالُ: سَكَنَ فُلَانٌ الْبَيْتَ، إِذَا جَعَلَهُ مَقَرًّا لَهُ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ السَّكُونِ؛ أَيْ: الْقَرَارِ⁽⁴⁾.

والمعنى المحوريُّ للسَّكَنِ: اسْتِقْرَارٌ فِي جَوْفِ حِيزٍ أَوْ بَاطِنٍ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/11.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/218.

(3) الرَّاغِب، المفردات: (سكن).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/238.

كالقوت في الجوف. وسَكَنَ بالمكان: أقام؛ بمعنى: استقرَّ في جوفه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45]. ويُقال لأهل الدار: ساكنون؛ لأنهم يَسْتَقِرُّون في جوف البيت والمنزل⁽¹⁾.

وأما الإقامة فهي من: أقام بالمكان؛ بمعنى: استقرَّ فيه. وكذلك (المقام) بضم الميم، فمعناه: الإقامة بالمكان⁽²⁾، وأما المقام بالفتح فمصدرُ قامَ يقوم مقامًا، والمقام أيضًا: موضعُ القيام، والمقامة (بالفتح): المجلس الذي يُتحدَّث فيه⁽³⁾.

والمقامة (بالضم): الإقامة، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: 35]؛ أي: الإقامة. وقوله تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [الأحزاب: 13] من قام؛ أي: لا مستقرَّ لكم⁽⁴⁾.

أما التَّبَوُّءُ: ففعلٌ من البَوء؛ أي: الرجوع، وأصله من المَبَاءة؛ وهي المَرْجِعُ. وكأنَّه المكان الذي يرجع إليه المرء مرَّةً بعد مرَّةٍ، أو المكان الذي يمكث فيه المرء فترةً مُحدَّدةً وليس للإقامة ولا السُّكنى الطويلة المتوارثة، كما قال سبحانه آمراً رسوليَّه موسى وهارون ﷺ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُنَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: 87] مؤثِّراً التعبيرَ بالتَّبَوُّء؛ لأنَّه سبحانه قد قضى عليهم بالخروج من مصر، وعدم الاستقرار فيها، وهذه كانت رسالتُهما ﷺ إلى فرعون، كما قال سبحانه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٦] ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: 16 - 17]، وبعد هذا، يُبيِّن لنا أنَّ هنالك مُشترَكًا وتقاربًا دلاليًّا بين المفردات الثلاث (السكن والإقامة والتَّبَوُّء)؛ من حيث دلالتها جميعًا على استقرارٍ بمكانٍ، غير أنَّ التَّبَوُّء هو أنسبها هنا، إذ هو المكان الذي يَبوُّ إليه المرء حينًا بعد حينٍ؛ أي: يروح منه ويرجع إليه؛ أي: ليس استقرارًا طويلًا، فيكون سُكنى وإقامة، بل هو استقرارٌ مؤقتٌ لغرضٍ مُحدَّدٍ، وهذا أشبه بالمكث في المقرَّات والاستراحات التي يَبوُّ إليها المسؤولون في مختلف أنحاء البلاد، لمتابعة المسؤوليَّات والالتقاء بالنَّاس. ويُفهم من التعبير به في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا

(1) جبل، للعجم الاشتقاقِي المؤصل: (سكن).

(2) جبل، للعجم الاشتقاقِي للمؤصل: (قوم).

(3) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 307.

(4) الزاغب، للفردات: (قوم).

لِيُؤْسَفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ⁽¹⁾، أَنَّ يَوْسُفَ ﷺ جَعَلَ لِنَفْسِهِ بَيْتًا فِي أَكْثَرِ مِنْ
 مَكَانٍ⁽¹⁾؛ أَي: بِسَبَبِ كَثْرَةِ تَجَوُّلِهِ فِي أَنْحَاءِ الدَّوْلَةِ وَرِعَايَةِ الْمَصَالِحِ فِيهَا وَمَتَابَعَتِهَا وَمُقَابَلَةِ
 أَهْلِهَا، لِلْوُقُوفِ عَلَى مُشْكَلاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ.

(1) الشَّعْرَاوِيُّ، تَفْسِيرُ الشَّعْرَاوِيِّ: 11/7002.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 23، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-768-20-3

يشتمل على ارجاعات بليوجرافية.

مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرعد الآية 15.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»